ومنها

فهذا كله رمز لحالي ومنه غدا المعمى ذا انفهام
ولا تتعجبوا فالكون تبدو بدائعه على طول الدوام
وأصل جميعها العرفان كم قد تيقظ أهله غب المنام
وكم نفعوا العباد بما ابانوا وما أدراك مانفع الانام
وكم قالوا وقلتم ذا محال وبعد الكشف صرتم للوثام
فأهل العلم أهل ان يقولوا لمن يعزو لهم طيش السهام
اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ماقالت حذام

محاورة في اصلاح التعليم (*
(في الازهر)

لولا أن اليأس من روح الله مقصور في كتاب الله على القوم الكافرين لقلنا كيف يرجى اصلاح حال أمة يعتقد علماؤها ان الاصلاح محال، وان العمل على ارجاع مجد الدين عبث وضلال ؛ لان الزمان فسد والساعة قربت وظهر في الناس مصداق الاحاديث بغوايتهم وتركهم للدين ولا يوجد احاديث أخرى تدل على انهم يرجعون الى هديه . وأن العلوم المصرية حتى الحساب والتاريخ مضلة للامة صادة لهم عن سبيل الحق مسجلة عليهم الحرمان من السعادة. وأن السعادتين الدنيوية والاخروية — اللتين حث عليهما الاسلام — لا تنالان الا بدراسة هذه الكتب المطولة في النحو والفقه وان كان أكثرها عقيما لا يصلح لسانا ولا عملا ؛ ولا بقي الآخذ به زيغا ولا زللا، وأن ماسوى ذلك من علوم التفسير والحديث والتهذيب لا ضرورة تدعو

*) هي المقالة الثانية من العدد الثاني والاربعين الصادر في يوم السبت ٢٤ شعبان سنة ١٣٩٦ الموافق ٢٦ ك ٢ (دسمبر) سنة ١٨٩٩ وحذفنا المقالة الاولى لاننا اعدنا نشرها في المجلد التاسع (ص٦٦٤ م ٩) كما تقدم

اليها بل لاحاجة لتعلمها اذ تقليد الفقهاء هو المتحتم على كل فرد من أفراد الأمة ومن اعتقد صحة حديث نبوي مخالف لقول فقهاء مذهبه وقال آخذ بالحديث دون قول الفقيه فذلك زنديق (نعوذ بالله تعالى)

وهل يوجد في علماء المسلمين من هبط بدينه وعقله الى هذه الاعتقادات والآراء؟ نعم واننا لنخجل من كتابة ذلك عنهم ونشره بين الناس ولكن الضرورة تلجئنا الى نشره لأنه أدوأ أمراضنا ومن كتم داءه قتله . اجتمع بعض الناس بشيخ من اكابر علماء الازهر وتذاكرا فيما هجت به الجرائد من الاصلاح وأن تعليم الازهر لا يرجى منه خير للملة كما جاء في بعض الجرائد الهندية ونقلته الجرائد المصرية (المؤيد والمنار) فقال (الانسان) لاحاجة الى تكليف كل طالب للعلم ان يدرس جميع مطولات كتب الفقه لاسيما مالا يتعلق به عمل كفقه المالكية والشافعية ماعدا العبادات وما في معناها فمن الاصلاح في التعليم أن يخصص بعض فقهاء المالكية مثلا لقراءة المطولات لمن يرغب في ذلك وتتوجه همته اليه من الطلاب إذ هذا الفريق هو الذي يرجى منه حفظ المذهب واتقانه ويقتصر باقي الطلاب على درس الكتب المختصرة أو المتوسطة بحيث يعرفون الواجب عليهم من ذلك ويعرفون أساليب الفن حتى اذا مادعتهم الحاجة الى التوسع فيه أمكنهم ماأخذوا من تحصيل مالم يأخذوا وان يصرف هؤلاء الوقت الذي كانوا يصرفونه في قراءة مطولات الفقه الى علم القرآن والحديث وأخلاق الدين التي هي الفقه الحقيقي عند الله ورسوله لانها هي التي يكون بها الوعظ والارشاد والبشارة والإنذار قال عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

قال حجة الاسلام الغزالي في هذا المقام مامعناه ومعلوم ان علم الاجارة والسلم ونحوه مما يسمونه فقهاء لا يحصل به الانذار ولا يرجى به الحذر من أسباب الشقاء فليس مما عناه القرآن

فأجاب (الشيخ) هذا (الانسان) بما محصله ان علم الحديث لا حاجة اليه في هذه العصور البتة — أما من حيث الرواية فقد فرغ منه من قرون وأما من حيث الدراية فلا يجوز لمسلم أن يأخذ بالحديث بل الواجب الأخذ بكلام الفقهاء ومن ترك كلام

فقهاء مذهبه للأخذ بحديث يخالف له فهو زنديق (كبرت كلمة هو قائلها) فتعجب الانسان وقال أنا أرى أن الذي يترك كلام صاحب الشريعة المعصوم الذي يعتقد صحته وانه قاله ويأخذ بكلام فقيه يجوز عليه ترك الحق عمدا وخطأ هو الزنديق. فقال الشيخ صاحب الكلمة يجوز أن يكون الحديث الذي يأخذ به ضعيفا أو موضوعا فقال الانسان انما كلامنا في حديث يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا أقدر أن أفهم معنى إسلام رجل ينبذ ما يعتقد أن نبيه قاله لقول أي انسان من الأناسي ،

ومن الغريب ان كثيراً من الشيوخ يعتقدون صحة قول صاحب هذه الكلمة الأثيمة وسنبين في الكلام على تقصير العلماء ان هذه الكلمة لبعض المتفقهة الذين لا يؤخذ بقولهم في الترجيح والتصحيح فضلاً عن الاستنباط أو التشريع ولم تنقل عن أحد من المجتهدين (حاشاهم) بل صح عنهم الأمر بالأخذ بالحديث وضرب عرض الحائط بكلامهم إذا هو خالفه كما رأيت في العدد الماضي عن الامام الشافعي . وكما يقولون تلك الكلمة في شأن الحديث يقولونها في شأن القرآن أيضاً وهي أعظم ضلالة وقع فيها أصحاب العمائم الاسلامية وقد اتبعوا فيها سنن من قبلهم فقد كان الكتاب المقدس عند الأمم النصرانية مقصوراً على رجال الدين لا يجوز لأحد ان يتناوله إلا على سبيل التبرك ومن قال فهمت منه كذا أو أعمل بما أفهم منه وان خالف كلام قسوس الكنيسة وأحبارها حكموا بمروقه من الدين وهكذا كان شأن اليهود من قبل أيضا . ومع هذا فان هؤلاء الشيوخ يفسرون حديث « لتتبعن سنن من قبلكم الخ » بما يشتهون فاذا خاضوا في غيبة الحكام وأبناء الدنيا قالوا وا أسفاه قد ضاع الدين وصدق فينا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فاتبعنا سنن من قبلنا فتركك حكامنا العمائم والجبب والفرجيات والبوابيج الصفر ولبسوا الطربوش والبنطلون والجزمة الخ الخ وأكلوا على الموائد المرفوعة بالآنية الافرنجية الخ الخ فكأن الدين انما أنزل لبيان الأكل واللباس ولا يقوم إلا بذلك وفاتهم أن النبي عليه السلام لبس الجبة الرومية والطيالسة الكسروية ولكنه لم يوسع ارداته ويجر أذياله كما يفعلون وقد جمح بنا القلم فلنعد إلى المحاورة

قال (الانسان) لهذا علمنا ان الأخذ بكلام الفقهاء متعين وان خالف الحديث

الصحيح فهل يفيد ذلك ان الحديث لا فائدة فيه مطلقا ؟ أليست آداب الدين وفضائله مبثوثة في الأحاديث النبوية ؟ ألا يكون المتفقه الواقف على الحديث على بينة من مذهبه ؟ ألا ينبغي له إذا رأى فقهاء مذهبه قد تركوا الأخذ بحديث ان يبحث عن السبب في ذلك ليطمأن قلبه لقولهم ؟ ومن هنا انتقلا الى البحث في ترقية الأمة الاسلامية فقال الانسان المشار اليه ان الدين انتشر بالتعليم والارشاد فاذا صلح أمر التعليم والارشاد يصلح حال المسلمين ويعود للدين شأنه فخالفه الشيخ في كل ما ذهب اليه غير قيام الدين بالدعوة والتعليم والارشاد قائلاً ان الحكومة هي ترقي الأمة وتقويها وبدونها لا يكون في الأمة ترق أو اصلاح فرد عليه بنحو ما كتبناه في ابطال هذا الزعم غير مرة

ثم قال له نحن نتكلم في اصلاح شؤون الأمة الملية لا الإدارية والسياسية فقال الشيخ بعد غض النظر عن كون هذا يطلب من الحكام أيضا أقول ان الذي حل بالمسلمين هو مصداق الاخبار الصحيحة ولا يمكن زواله فهو دليل قرب الساعة وانقضاء عمر الدنيا (هذا غاية استفادته من علم الحديث فان كان كل من يقرأ الحديث في الأزهر يقع في القنوط واليأس من اصلاح الأمة فنحن على رأيه في عدم لزومه أو في لزوم عدمه) وأورد عليه حديث (بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدا) فقال له (الانسان) ان هذا حجة لي فأنا أقول ان الاسلام غريب ويعود كما بدا بالدعوة والتعليم والإرشاد فيجب على المسلمين عامة والعلماء خاصة ان يعملوا على اعادته

هذا بعض من كل أوردناه على سبيل الاعتبار بحالتنا والتصديق لما كتبه العلامة شبلي النعماني مدرس العلوم العربية في كلية عليكده في الهند من أن تعليم الأزهر لا يرجى منه خير للاسلام إذا بقي على حاله . ولكن لنا الأمل بعلمائه العقلاء ان يتبصروا ويتدبروا ويمعن النظر من لم يقف منهم على أحوال الزمان بأقوال من وقف واختبر ويتعاونوا جميعا على اصلاح التعليم ومتى أنصفوا في المذاكرة تنجلي لهم شبههم التي يحتجون بها على اليأس من الاصلاح بالتعليم وان الخير في هذه

الأمة الى يوم القيامة وقد ورد انها كالمطر لا يدرى الخير في أوله أو في آخره وسنعود إلى هذه المواضيع ان شاء الله تعالى و بالله التوفيق

انتشار الاسلام

جاء في جريدة الحاضرة الغراء تحت هذا العنوان ما نصه

ظهر للبعثات الدينية التي ذهبت حديثا الى مجاهل آسيا وافريقيا على اثر دخول دول اوروبا اليهما ان الاسلام منشور في كثير من البلدان وان أهله على غاية الرقة واللطف بخلاف بقية الطوائف من البربر والمجوس والوثنيين وغيرهم ممن لا يدينون بدين

والمسلم هناك ممتاز عن غيره بالفضائل والكمالات الانسانية وبحسن البزة والنظافة بخلاف بقية الاهالي الذين لا يعرفون شيئاً والطهارة عندهم مفقودة لا وجود لها

ولا أحد يعلم كيف كان دخول الاسلام الى مجاهل تلك البلاد ولكن يظن انه كان من نتائج اسفار المسلمين وتوغلهم في داخلية البلاد بقصد الكسب والاتجار فلما آنس الاهالي منهم الامانة والوفاء اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا وتمايزهم الدين الاسلامي فأنار أبصارهم و بصائرهم واخرجهم من حطة البهيمية الى خطة الاسلامية

قال المسيو ريمون الرحالة الشهير انه اثناء تطوافه في مجاهل افريقيا لم يكن ليأمن على نفسه وعلى رجاله الا عند المسلمين فكان يصادف منهم انسا ولطفا وحسن ضيافة بخلاف جيرانهم من الناس الذين لا دين لهم فكثيرا ما غدروا به و برجاله حتى كان يضطر الى استعمال الاسلحة النارية دفاعا عنه وعن رجاله

وقد كتب رسالة طويلة في الاسلام والمسلمين مدحهم بها وفضلهم على سائر الامم والشعوب وقال ان نور الاسلام انتشر كثيرا في جهات افريقيا وآسيا وكان انتشاره طبيعيا لان المسلمين كانوا قدوة في أعمالهم الحسنة لسائر جيرانهم فالحقوا بهم وحذوا حذوهم وبالتدريج عرفوا ما الاسلام فاعتنقوه وصاروا مسلمين